

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي الوشكريسي تيسمسيلت



ISSN: 2571-9882

رقم الإيداع القانوني: مارس 2017

دراسات معاصرة

مجلة علمية دولية محكمة نصف سنوية

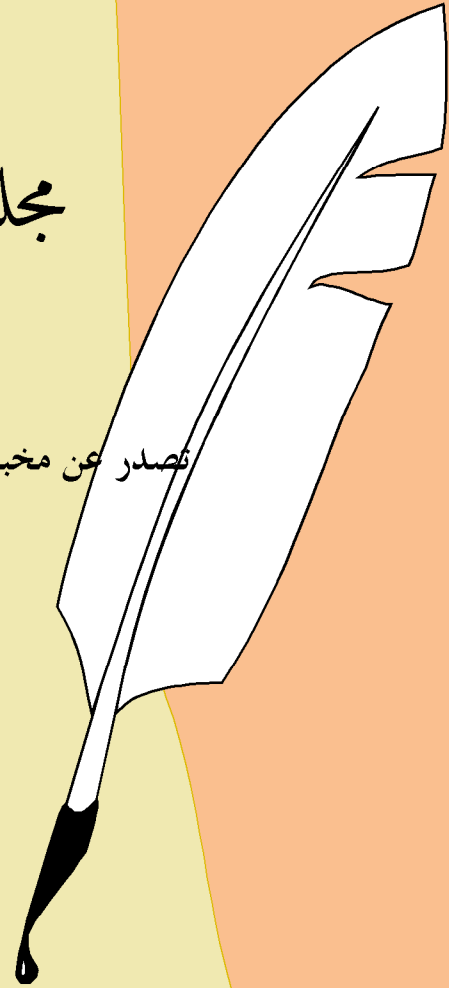
تنشر الدراسات الأدبية والنقدية واللغوية

تصدر عن مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة المركز الجامعي - تيسمسيلت / الجزائر

العدد 02 / جوان (حزيران) 2017

منشورات مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة

المركز الجامعي الوشكريسي تيسمسيلت



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي الوشريسي تيسمسيلت



ISSN: 2571-9882

رقم الإيداع القانوني: مارس 2017

دراسات معاصرة

مجلة علمية دولية محكمة نصف سنوية

تنشر الدراسات الأدبية والنقدية واللغوية

تصدر عن مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة المركز الجامعي - تيسمسيلت / الجزائر

العدد 02 / جوان (حزيران) 2017

منشورات مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة

المركز الجامعي الوشريسي تيسمسيلت

ترسل المواد البحثية حصرا عبر البوابة الجزائرية للمجلات العلمية:

www.asjp.cerist.dz

البريد الالكتروني للمجلة

dirassat.mo3assira@gmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أ.د. العتيقي أحمد

د.بن علي خلف الله

مدير المركز الجامعي تيسمسيلت

مدير مخبر الدراسات الأدبية والنقدية المعاصرة

الجزائر

المركز الجامعي تيسمسيلت الجزائر

رئيس التحرير:

د.فايد محمد المركز الجامعي تيسمسيلت الجزائر.

هيئة التحرير:

د.مصاييح محمد/المركز الجامعي تيسمسيلت.

د.فتح الله محمد/المركز الجامعي-

د.علي سحنين/جامعة معسكر/الجزائر.

تيسمسيلت/الجزائر.

د.عطار خالد/المركز الجامعي تيسمسيلت.

أ.رافة العربي/المركز الجامعي تيسمسيلت.

د.مرسلي مسعودة/المركز الجامعي-تيسمسيلت

أ.كمال الدين عطاء الله/جامعة حسية بن

د.طعام شامخة/المركز الجامعي تيسمسيلت.

بوعلي-الشلف.

د.شريف سعاد/المركز الجامعي تيسمسيلت

د.بولعشار مرسلي/المركز الجامعي-

تيسمسيلت/الجزائر.

الهيئة العلمية الاستشارية:

أ.د/مخلوف عامر/ جامعة طاهر مولاي-

أ.د/غربي شميصة/ جامعة جيلالي لباس-سيدي

سعيدة/الجزائر.

بلعباس/الجزائر.

أ.د/عقاق قادة/ جامعة جيلالي لباس-سيدي

د.فريد أمعشوشو/ الكلية متعددة التخصصات/

بلعباس/الجزائر.

الناظور/ المغرب.

أ.د/بلوحي محمد/ جامعة جيلالي لباس-سيدي

د.مجدي خضر الكردي/ جامعة القدس المفتوحة-

بلعباس/الجزائر.

غزة/فلسطين.

أ.د/عمار بن زايد/جامعة الجزائر

د.حنان يوسف/جامعة الاسكندرية/مصر.

أ.د/غني ضياء العبودي/جامعة ذي قار/العراق.

د.بن علي خلف الله/المركز الجامعي-

أ.د/مباركي بوعلام/ جامعة طاهر مولاي-

تيسمسيلت/الجزائر

سعيدة/الجزائر.

د.صباح لخضاري/المركز الجامعي النعامة/الجزائر.

د.علاوة كوسة/المركز الجامعي ميلة/الجزائر.

د.بولخراص محمد/جامعة ابن خلدون-

د.رشيد بلعيفة/جامعة عباس لغرور-خنشلة/الجزائر.

تيارت/الجزائر.

د.مكيكة محمد جواد/جامعة ابن خلدون-

د.بوعرعارة محمد/المركز الجامعي

تيارت/الجزائر.

تيسمسيلت/الجزائر.

د.بلمصاييح خالد/المركز الجامعي

د.عطار خالد/المركز الجامعي تيسمسيلت/الجزائر.

تيسمسيلت/الجزائر.

د.هدروق لخضر/المركز الجامعي-

د.غربي بكاي/المركز الجامعي تيسمسيلت/الجزائر.

تيسمسيلت/الجزائر.

د. منقور صلاح الدين / جامعة ابن خلدون -
تيارت/ الجزائر.

د. مصاييح محمد / المركز الجامعي -
تيسمسيلت/ الجزائر.
د. فايد محمد / المركز الجامعي - تيسمسيلت/ الجزائر.

شروط النشر:

تتشرف الهيئة المشرفة على مجلة (دراسات معاصرة)، بدعوة السادة الباحثين من داخل الوطن وخارجه للمساهمة في أعدادها، وذلك بإرسال أوراقهم البحثية التي تدخل ضمن اهتمامات المجلة، مع التتويه بضرورة التزام شروط النشر وضوابطه المعتمدة والمبيّنة أدناه:

- تنشر المجلة الأبحاث ذات الصلة باللغة والأدب والنقد.
- يشترط في البحث أن لا يكون نشر أو قدم للنشر في أي مكان آخر، و يتعهد الباحث بذلك خطياً عند تقديم البحث للنشر.
- تخضع البحوث للتقويم حسب الأصول العلمية المتبعة.
- يكتب البحث باستعمال برنامج Microsoft Word بصيغة doc أو بصيغة docx. وتكتب الهوامش في آخر البحث يدوياً.
- الخط عربي تقليدي حجم 16 للمتن، و 14 للإحالات.
- أن لا يزيد عدد صفحات البحث عن 20.
- العناوين الرئيسية والفرعية: تستخدم لتقسيم أجزاء البحث حسب أهميتها، ويتسلسل منطقي.
- يقدّم الباحث ملخصاً وكلمات مفاتيح باللغة العربية والانجليزية.
- لهيئة التحرير حق إجراء تعديلات تتعلق بالإخراج الفني النهائي لمواد المجلة.
- قرار هيئة التحرير بقبول إحالة البحث إلى المحكمين أو رفضه مباشرة قرار نهائي مع الاحتفاظ بحقها بعدم إبداء الأسباب.
- يلتزم الباحث بإجراء التعديلات المطلوبة.
- يزود الباحث بنسخة PDF من العدد الذي نشر فيه بحثه.
- ترسل المواد البحثية حصراً عبر البوابة الجزائرية للمجلات العلمية:

www.asjp.cerist.dz

كلمة رئيس التحرير:

يسر أسرة مخبر الدراسات النقدية والأدبية بالمركز الجامعي تيسمسيلت أن تواصل في حركية دؤوبة نشاطاتها العلمية. ولعل أهم ما تطل به على الباحثين والدارسين العدد الثاني من مجلة "دراسات معاصرة" هذه المجلة البكر التي أردناها أن تكون حقلا معرفيا وفكريا لكل إسهام علمي ارتقى مضمونه حتى يستحق درجة النشر.

وقد شهدنا ميلاد العدد الأول في مارس 2017. وها هو العدد الثاني من المجلة يرى النور وكلنا أمل في أن يكون أحسن وأنفع، وعند تطلعات الباحثين من أساتذة وطلبة.

وقد اجتهد فريق المجلة في انتقاء المواضيع المتميزة بالجدية والأصالة، والتي تلبي حاجة الدارس والقارئ. ولاسيما طلبة قسم اللغة العربية وآدابها. فتحية إجلال وتقدير لكل الباحثين الذين أثروا هذا العدد بفيض أفكارهم، فجاء العدد متنوعا من حيث الموضوعات ومن حيث الأسماء المشاركة من داخل الوطن ومن خارجه. وهي خطوة تعد بالخير وبمستقبل أفضل لهذه المجلة.

ولا يفوتنا في هذه الكلمة أن ننوه بمجهود طاقم المجلة وأسرة المخبر ككل. ونتقدم لهم بأسمى عبارات الشكر والتقدير على هذا الإنجاز، كما لا ننسى أن نطلب من القراء الكرام عدم البخل علينا بملاحظاتهم وإسهاماتهم العلمية من أجل الرقي بهذا المنبر الفكري إلى الأحسن والأفضل.

محتوى العدد:

- سيميائية السرد التراثي العربي في النقد المغربي المعاصر
- أ. د. عقاق قادة جامعة سيدي بلعباس الجزائر.....10
- المتلقي بين التخيل والمحاكاة والتأثير في نظرية الشعر عند حازم القرطاجني (684هـ).
- د. فيصل أبو الطفيل جامعة القاضي عياض مراكش المملكة المغربية.....18
- الجانب الأدبي في كتابات أبي القاسم سعد الله
- أ. د. شميصة غربي جامعة سيدي بلعباس الجزائر.....27
- محاولات نقل معاني النصوص المقدسة بين الترجمة الحرفية والمعنوية
- د. فتح الله محمد المركز الجامعي أحمد بن يحيى الونشريسي تيسمسيلت الجزائر.....34
- الشعر الملحن ذاكرة الثورة الجزائرية
- د. كبريت علي جامعة ابن خلدون تيارت الجزائر.....41
- الموقف التوفيقى بين الفلسفة والشرعية لابن رشد القرطبي
- د/ ن. شمناد كلية الجامعة، تروننتبرام، كيرلا، الهند.....47
- أهمية السرد في تشكيل بنية النص.
- الباحثة: عجوج فاطمة الزهراء جامعة سيدي بلعباس الجزائر.....55
- معجم اللغة التاريخي وأهميته في الواقع الحضاري
- الباحثة فاطنة نهاري جامعة سيدي بلعباس الجزائر.....62
- من قضايا المنهج في دراسة الأدب قراءة في كتاب "الأدب قضايا ومشكلات" ليوسف الإدريسي
- د. نجاة ذويب جامعة القيروان الجمهورية التونسية.....69
- نشأة الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية وإشكالية الهوية والانتماء
- الباحثة: خليف هوارية جامعة سيدي بلعباس الجزائر.....77
- نقد الخطاب الصوفي في الشعر العربي المعاصر. قراءة في كتاب "الرمز الصوفي في الشعر العربي المعاصر" لسعيد بوسقطة
- د. علاوة كوسة المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميلة الجزائر.....84
- الكتابة النقدية عند عبد المالك مرتاض
- الباحث عبد القادر كباس المركز الجامعي الونشريسي تيسمسيلت الجزائر.....89

الاتجاه الأسلوبى فى النقد الأدبى المعاصر قراءة فى نص شعري

- د. شريط نورة المركز الجامعى النشرىسى تىسمسىلت الجزائر.....97
- تجليات التناص فى الرواية الجزائرية المعاصرة ثلاثية أحلام مستغانمي " أنموذجا "
- د. شريط رابح المركز الجامعى تىبازة الجزائر.....113
- تناص أم تلاص فى رواية القلادة لحميد العقابى
- أ.د. ضياء غنى العبودى الباحث: مرتضى حسين البدرى جامعة ذى قار العراق.....117
- توظيف التراث واستدعاء الشخصيات التراثية فى شعر محمود درويش .
- د. قردان الميلود جامعة تىبازة الجزائر.....126

توظيف التراث واستدعاء الشخصيات التراثية في شعر محمود درويش. الجدارية نموذجاً

د . قردان الميلود
جامعة تيبازة
الجزائر

الملخص:

إنّ محمود درويش من بين أكثر الشعراء عودة إلى التراث وتوظيفاً له، ذلك أن حاضر ومستقبل الإنسان مرتبط بماضيه وبكل ما يمثله هذا الماضي من أمجاد و خيبات، ولعل اعتماد محمود درويش على التراث يرجع لكونه الأكثر تعبيراً عن القضية الفلسطينية وعن الجرح الفلسطيني الغائر.

الكلمات المفتاحية: محمود درويش - التراث - القضية الفلسطينية - الجدارية.

summary:

Mahmoud Darwish is considered one of the most poets who has returned to use and employ heritage as long as the human's present and future destiny depends on his past and linked to all what it represents as glories and disappointments. It is possible that Darwish's dependence on heritage is mainly due to his wide expression of the Palestinian issue and the deep Palestinian wound.

Key words:

Mahmoud Darwish- Heritage- The Palestinian Issue- Jidariyya (Mural)

تمهيد:

الشعرية نوعاً من الأصالة الفنية، ومن بين هؤلاء الشعراء محمود درويش الذي لجأ إلى هذا التراث فما خذله مرة، فكان لتوظيف الشخصيات التراثية في شعره عامة وفي الجدارية على وجه الخصوص النصيب الأوفر حسب خصوصية الموقف الشعري وانفعالات الشاعر الوجدانية، مثلاً لم يغفل محمود درويش توظيف الرمز بمختلف أنواعه (تاريخي، أسطوري، ديني، طبيعي، تراثي شعبي...) بشكل ملفت للانتباه يستحق الوقوف عنده ودراسته.

لقد استوعب الشعر العربي جوهر التحديث، وحملت القصيدة المعاصرة الرؤية الجديدة، وشكلت نفسها تشكيلاً جالياً يتناسب مع النقلة المعاصرة في الحياة وفي الفكر والإبداع، إلا أنها لم تستطع الاستغناء عن المعطيات التراثية التي منحها طاقات تعبيرية لا حدود لها، فكثيراً ما ارتد الشاعر المعاصر إلى التراث فوجد رهن تصرفه مئات الأصوات التي يمكن أن ترن في وجدان المتلقي وسمعه، وتكسب تجربته

من أجل هذا تحاول هاته المداخلة المتواضعة أن تنهض ما الدوافع التي حذت بالشاعر محمود درويش إلى توظيف هذا التراث؟ وما حدود هيمنة هذا التراث في بناء الرمز والصورة واللغة معا في شعره؟ وما مدى تحقق فنية التراث حضوراً وتظهراً في بنية القصيدة الدرويشية؟

لقد كرس درويش كل ما يملك من طاقات وإمكانات كامنة وظاهرة لخدمة وطنه بواسطة الشعر والكلمة الصادقة التي كانت خنجراً في صدر المحتل الغاصب، وشمعة تنير درب أبناء وطنه، فهو لم يحمل على كنفه رشاشاً ولا في يده حجارة، بل حمل في فكره بلده المسلوب وفي قلبه قضية شعبه العادلة، وإيماناً منه أن الأمة التي لا ماضي لها لا مستقبل لها فان موقف درويش من التراث يمكن بلورته كما يلي: يرى محمود درويش أن ثورته لا تسمح له بإهمال التراث ورميه جانبا والاهتمام بالحدث فقط إذ يقول: حدثاتي تتأسس من كلاسكيتي من رؤية جديدة تقف على أرض صلبة، تقف على التاريخ والتراث⁽⁰¹⁾

الشخصية التراثية عنواناً على مرحلة:

في إطار هذا الخط ترافق الشخصية الشاعر على امتداد مرحلة كاملة من مراحل تطوره في الشعر، و تبسط ظلالها على رؤياه الشعرية، و طوال هذه المرحلة تمنحه من ملامحه الغنية بالقدرات الإيجابية ما يستوعب تطورات تجربته و يعكسها .

كانت هذه معظم التقنيات التي يستخدمها الشاعر في استدعاء الشخصية التراثية.

نماذج من الشخصيات التراثية في شعر محمود درويش:

و قد عمد محمود درويش للتكثيف من استدعاء الشخصيات التراثية خصوصاً الدينية منها التاريخية والأسطورية و كان هذا التوضيح بغية إدانة الواقع و التذكير بأجداد أمتة وكأنه بكاء جنائزي على أوضاع الأمة العربية التي تتخبط في التبعية و تصارع خيوط العنكبوت التي حيكت لها.

و تبعاً لمسيرة محمود درويش الملتزمة بقضية شعبه العادلة فنراه يعود إلى شخصيات غابرة ليقطف منها دلالات تتلاءم وهدفه الذي يريد أن يوصله إلى الرأي العالم العالمي .

شخصية دينية:

و تعد شخصية الأنبياء -عليهم السلام- أكثر شخصيات التراث الدين شيوعاً في شعر درويش، لأن كل من النبي والشاعر الأصيل يحمل رسالة إلى أمتة ، و الفارق بينهما أن

بالإجابة على جملة من الأسئلة أهمها:

رسالة النبي رسالة مساوية، و كل منها يتحمل العنت والعذاب في سبيل رسالته و أكثر هذه الشخصية شيوعاً محمد، عيسى، و موسى، و يوسف عليهم السلام.

و قد أخذت شخصية - محمد صلى الله عليه و سلم - دلالات متنوعة كثيرة و أكثر هذه الحالات شيوعاً في استخدامها رمزا شاملاً للإنسان العربي سواء في انتصاره أو في عذابه، فيها نحن نجده في قصيدته نشيد الرجال يسأل شاعرنا محمود درويش الرسول الكريم - محمد صلى الله عليه و سلم - عن الطريق إلى خلاصه و خلاص قومه من السجن الكبير الذي وضعوا فيه، (لأخرج من ظلام السجن ما أفعل)، فيكون رده:

تحدّ السجن و السجن

فإن حلاوة الإيمان

تذيب مرارة الحنظل⁽²⁾

و في الحديث النبوي شريف مما يتبي في المشرق العربي ضمن الأوراد الرمضانية ورد عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قوله: "أنا مدينة العلم و على بابها" و لا ندرى إن كان محمود درويش قد التقط في صباه تلك الكلمات و امتزجت عنده القراءات الملحمية، إذ يكتب في قصيدته مديح الظل العالي، وهي تستحضر- في عنوانها المدائح النبوية و الباب العالي العثماني قائلاً :

عما تبحث يا فتى في زورق الأوديسة المكسور

عن الجيش يهاجمني فأهزمه و أسأل هل أصير

مدنية الشعر يوماً⁽³⁾.

أي أنه يريد أن يقوم شعرياً بدور المدينة و بابها بمهمة محمد و علي في الآن ذاته، فالأخير هو الذي يهزم الجيوش بمفرده هكذا أسطرته الخيلة الإسلامية في المشرق و المغرب، وبدلاً من أن يصبح مدينة العلم يطمح شاعرنا لاختزال الشعر في شخصه، و تمثيل جميع أساليبه بتجربتها و الإيجار بها، يريد أن يصبح مكاناً لجميع الشعراء، و "المكان هو بيت التاريخ و التاريخ صناعة اللغة التي هي أخطر مقتنيات الإنسان"⁽⁴⁾.

كما تعد قصيدة أحمد الزعتر منعرجاً في مشوار محمود درويش الشعري، فيها نلاحظ التوجه الدرامي الذي استعان به الشاعر لبناء قصيدته، و هذه الأخيرة تستند في بنائها على حدث تاريخي يعد هاماً في مسار الثورة، إنه ملحمة "تل الزعتر" التي وقعت إبان الحرب الأهلية في لبنان، فنجد الشاعر يعتمد على هذا الحدث التاريخي و يحاول أن يصعد إلى

مستوى دلالي يتسم بالرمزية والأسطورية، و أيضاً اعتاده على شخصية دينية بارزة لها تأثيرها في الوجدان العربي، و لها وقعها في التاريخ العربي و الإنساني عامة، أولاً- و هي شخصية الرسول، و هو يستعين به لأنه يعد صانع أول ثورة عربية، و الزعتر اسم لخيم شهد أعظم و أروع البطولات للشعب الفلسطيني يقول الشاعر :

أنا أحمد العربي - فليأت الحصار
جسدي هو الأسوار - فليأت الحصار
و أنا حدود النار - فليأت الحصار⁽⁵⁾

و في هذه القصيدة نجد أن شخصية أحمد في بحث دائم عن الهوية و الأرض و الكرامة و الحرية، لذلك هو يرحل و يسافر عبر الزمن عله يجد نفسه، ذاته، و كيانه، يقول درويش :

في كل شيء كان أحمد يلتقي بنقيضه
عشرين عاماً كان يسأل
عشرين عاماً كان يرحل
راح أحمد يلتقي ضلوعه و يديه
يا أحمد المولود من حجر و زعتر

سنقول : لا

سنقول : لا⁽⁶⁾

كما يأخذ استدعاؤه لشخصية محمد صلى الله عليه و سلم في إحدى قصائده شكل الاتصال الهاتفي المباشر عبر التاريخ يستشير فيه الرسول -صلى الله عليه وسلم- فيما ينبغي عمله بالنسبة لقضيته، و بالرغم من ركافة المحاولة، فإنها من الوجهة الفنية تمثل صورة حديثة من صور توظيف الشخصية التراثية حيث يقول:

آلو ..أريد محمد العرب

نعم..... من أنت؟

سجين في بلادي⁽⁷⁾

كان للتراث المسيحي أثر كبير في إثراء الشعرية الفلسطينية و الدرويشية خاصة، فدرويش يلجأ إلى استخدام بعض المعاني المتضمنة في هذا التراث، كالصليب، الفداء، التضحية، والبعث. فنجد أن هناك المسيح و الفدائي المقاتل الفلسطيني كلاهما يصل ذروة العطاء بالاستشهاد من أجل القضية، و نجد أن رمز الصليب هو من أكثر الرموز انتشاراً في شعر درويش، لا سيما ما كتب منه في الأرض المحتلة، و يعد هذا الرمز ظاهرة مشتركة بين درويش و كثير معاصريه.

يقول محمود درويش :

يا أريجاً أنت في الحلم و اليقظة
يا أريجاً! أنت في الحلم و في اليقظة
ضدّان

و في الحلم و في اليقظة حاربت هناك
و أنا بينها مزقت توراتي
و عذبت المسيحاً..⁽⁸⁾

و يقول أيضاً :

جدد أيها الأخضر صوتي و انتشاري
إن في حنجرتي كفا تهز النخل من أجل فتى يأتي
نيا : أي فدائياً

وجدد أيها الأخضر صوتي في حنجرتي خارطة
الحلم و أساء المسيح الحي⁽⁹⁾

إضافة إلى ذلك نجده يعود إلى أسلوب الاتصال الهاتفي مع المسيح دائماً في إطار محاولة طرح معاناته كشكلية عله يجد الحل لطرح الاستعمار خارجاً...و نيل الحرية التي ينشدها إذ يقول :

آلو ...

أريد يسوع

نعم من أنت

أنا أحكي من إسرائيل

و في قديمي مسامير ..و إكليل

من الأشواك أحمله

فأي سبيل⁽¹⁰⁾

كما يستدعي درويش شخصية نوح عليه السلام، فتتحول سفينته من رمز للنجاة إلى رمز للموت في قصيدته مطر، إذ يقول :

يا نوح !

لا ترحل بنا

إن المات هنا سلامة

أنا جذور لا تعيش بغير أرض..

و لتكن أرضي قيامه⁽¹¹⁾

و يسافر بنا محمود درويش عبر بساط التاريخ، من خلال توظيفه لشخصيات التراث لترجمة تجربته الشعرية، و لإساع صوت الإنسان الفلسطيني المتذبذب، المنهك من ثقل هموم الحياة، فدرويش يزرع الأمل، بحث على الصبر والمقاومة

بالتمسك بالله و التعاليم الدينية، التي تكون ملتجأ لكل من لا
حول و لا قوة له، يقول :

يوم كان الإله يجلد عبده

قلت : يا ناس أنكفر

فروى لي أبي ..وطأطأ زنده

في حوار مع العذاب

كان أيوب يشكر خالق الدود و السحاب⁽¹²⁾

فكان توظيف أيوب عليه السلام رمز الدلالة على الصبر،
والجلد، ويقول في قصيدته "الخروج من ساحل المتوسط".

أين المجدلية

ذابت أصابعها مع الصابون

واهمرت كتابات...كتابات

وكان الجند ينتصرون ينتصرون ..

كانوا يقرؤون صلاتها ..

بدموع هاجر، كانت الصحراء جالسة على جلدي

وأول دمعة في الأرض كانت دمعة عربية .

هل تذكرون دمعة هاجر...أول امرأة

بكت في هجرة لا تنتهي ...⁽¹³⁾

كان توظيف هاجر أم اسماعيل عليه السلام من خلال
اسمها الدال على الوضع الفلسطيني الذي يهاجر أبناؤه من وطن
آخر دون هوية، حاملين في آذانهم و قلوبهم صورة وطنهم
الأخضر- الأمين، و ربط ذلك من خلال هجرتها إلى الجزيرة
العربية مع ابنها اسماعيل، و تكون هاجر رمزا فلسطينيا كما
يمكن أن تكون في مريم المجدلية، ليحقق المأساة التي فرضت
على الإنسان منذ الأزل و حتى عصرنا هذا.

و يسלט محمود درويش الضوء على شبكة التواطؤ
المحكمة من طرف أعداء الإنسانية، و هذا بالتخطيط
لاستئصال الإنسان الفلسطيني باقتلاع وطمس هويته العربية
الدينية، عائدا للقرآن الكريم ليقتطف منه قصة سيدنا يوسف
عليه السلام، و ما تحمله من ملامح الظلم، الاعتداء،
التضحية، و الجزاء إذ يقول :

يا أبي

إخوتي لا يحبوني

لا يريدوني بينهم يا أبي .

يَعْتَدُونَ عَلَيَّ ويرْمُونِي بالحصى والكلام

يريدوني ان أموت لكي يمدحوني

وهم أوصدوا باب بيتك دوني

وهم طردوني من الحقل

هم سَمُّوا عني يا أبي

وهم حَطَّموا لُعي يا أبي

أنت سَمَّيتني يُوسُفًا،

وَهُمُ أَوْقَعُونِي فِي الْجُبِّ، وَاتَّهَمُوا الذَّنْبَ

والذَّنْبُ أَرْحَمُ مِنْ إِخْوَتِي أَبَتِي..⁽¹⁴⁾

قد استحضّر- محمود درويش شخصية يوسف عليه
السلام، صاحب الصورة البريئة الذي يكن الود لإخوته، وهم
ناقضون تلك العلاقة فيكونون العدا المطلق له، و يحاولون
قتله فأوقعوه في قعر البئر، و اتهموا الذنب بذلك، مما حمل
الضحية على التسليم بأن الذنب بشراسته أرحم من إخوته،
فالشاعر استلهم هذه القصة و أسقطها على الواقع الفلسطيني
على الخصوص، و الوطن العربي بصفة عامة.

ب- شخصيات تاريخية:

نجد الشخصيات التراثية التاريخية حاضرة في شعر درويش،
كشخصية صلاح الدين في قصيدته "قتلوك في الوادي":

غريب في الدار

أهديك في ذاكرتي على مرأى من الزمن

أهديك ذاكرتي

ماذا يقول البرق للسكين

هل كنت في حطين

رمزا لموت الشرق

وأنا صلاح الدين

أم عبد الصليبي⁽¹⁵⁾

و كثيرا ما تحتفظ الشخصية التراثية بملامحها التراثية، ويقابل
الشاعر بهذا بين الملامح الثلاثية، و الملامح المعاصرة، يريد أن
يستخدم الشخصية في التعبير عنها، و غالبا ما يكون هناك نوع
من التناقض بين هذه الملامح المعاصرة و ملامح الشخصية، و
نجد درويش في قصيدته "امرؤ القيس" يحتفظ لامرؤ القيس في
القصيدة بكل ملامحه التراثية، و يضع في مقابلها شخصية ليصل
عن طريق هذه المقابلة إلى تعميق الاحساس لدى المتلقى
بالمقارنة بين نموذج الشاعر المترف-ممثلا في امرؤ القيس-
ونموذج الشاعر الكادح المكلف ممثلا في ذاته : كل ذلك دون
أن يخس امرؤ القيس قدره كشاعر عظيم، إذ يقول:

ليس لي حان، و لا عشر حسان

قدحي خال كجبي، والنساء

حالما يحمل سلاحاً من أحاديث الجهاد
و حكايات عن الأبطال⁽²⁰⁾

1- مضمون الجدارية:

بعد تحليلنا في فضاء محمود درويش الشعري، واكتشافنا لروحه الثورية الصامدة أمام طوفان الظلم و الطغيان و انجذابه بمغناطيس التراث، الساعي إلى الغوص في غياهبه من أجل العثور على كنوز ثمينة متوهجة، عليها تشير عالمنا المعاصر و تساهم في النهوض به. بعد كل هذا ها نحن ننزل على أرض الواقع نزولاً حراً، لنعيش و مشاعرنا صراع الشاعر محمود درويش، ذلك الصراع الأبدى بين البقاء و الفناء، من خلال قصيدته الجدارية التي نظمها و هو ينازل الموت إثر خضوعه لعملية جراحية أجريت له على شريانه الأورمي، حيث داهمه الموت دونما سابق موعد، و قد أسأها جدارية خشية منه ألا يعيش ليقرأها .

و احتفظ لها بهذا الاسم حتى بعد استعادة كيانه، ربما إيماناً منه بأنها تستحق أن تعلق على الجدران كأى عمل عظيم، باعتبارها سجلاً للحظات صراع ضد المرض، فقد قال محمود درويش "لقد استبدت في هاجس النهاية منذ أدركت أن الموت النهائي هو موت اللغة، إذ خيل إلي بفعل التخدير أنني أعرف و أعجز عن النطق بها، فكتبت على ورق الطيب لقد فقدت اللغة، أي لم يبق مني شيء." هكذا عدّ محمود درويش في آخر أعماله الشعرية (الجدارية) أن الموت هو موت اللغة، و عدم القدرة على النطق، فهذا " العمل جسد تجربة شخصية مميزة، عاشها الشاعر مع الموت"⁽²¹⁾.

يجبنا درويش عبر سطور جداريته التي رسمها بألوان زاهية أحياناً و قاتمة أحياناً أخرى، على خلفية سوداء تتم عن صراع الإنسان مع الموت، عن سؤال وجودي محير هل الموت هو نهاية أم راحة أبدية للإنسان.

في هذه الجدارية بنازل الشاعر الموت، لتبدأ حوارات متنوعة، يث منها خلالها الشاعر و بأساليب متنوعة وبشكل مكثف كل ما كان يحول في خاطره تجاه الموت الذي جاءه غدراً، و حاول النيل منه على حين غره.

يا موت يا ظلي الذي

سيقودني، يا ثالث الاثنين

يا لون التردد في الزمرد والزربرد

في زماني لا تحب الشعراء
إنني أدفع عن رأسي بطش الصولجان⁽¹⁶⁾
و تناديني : تعالى
ج. شخصيات اسطورية :

الشاعر القادر على توظيف اللغة البسيطة قادر - ولا شك- على ابتكار الألفاظ و التراكيب ذات المعاني الجديدة الموحية، و شاعرنا الشاعر محمود درويش يستعمل في الانتقال إلى هذا الأسلوب الإيحائي طريقتين : الأولى يعتمد فيها على الرموز المستوحاة من القصص القرآني، قصة نوح، و قصة أيوب عليها السلام- مثلاً، أو من الأساطير القديمة كالأساطير اليونانية و البابلية، مثل أسطورة طروادة و بابل وأحياناً من بعض أساطير التوراة.

و لكن استعمال شاعرنا لهذا القصص و الأساطير تختلف مثلاً عن استعمال البياقي و السياب لها، فهو لا يقصد من وراء استعماله إعادة خلقها، والارتكاز عليها كلية، وإنما المقصود وهو اقتطاف الرمز المناسب للفكرة منها، كما يقول الشاعر : "وفي هذه الحالة فإن القصة أو الأسطورة لا تستغرق القصيدة كلها، وإنما تمر فيها بصفة عابرة و سريعة، مشيرة بطريقة رامية إلى نوع التجربة، و هذه الطريقة أشبه ما تكون بطريقة المثل الوارد في سياق حديث ما"⁽¹⁷⁾.

و أحياناً نرى الشاعر يكسب هذه الرموز معان جديدة، تتناسب و هدفه الذي يريد الوصول إليه، فيتحوّل المثل المعروف في قصيدة المتنبي "بم التعلل".

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري
الرياح بما لا تشتهي السفن⁽¹⁸⁾.

إلى العكس في قصيدة محمود درويش "في انتظار العائدين"

بمشيئة الملاح تجري الريح

و التيار يغلبه السفين⁽¹⁹⁾.

و يلجأ الشاعر إلى الأساطير كما ذكرنا لينتقي منها ما يناسب موضوعه، و من الشخصيات التراثية الأسطورية السندباد، هذه الشخصية المغامرة التي تواجه الصعاب في هول البحار و المحيطات، دال على صفة التغرّب و التيه الذي يعاني منه السندباد والذي يشبه الإنسان الفلسطيني في تحديه للصعاب إذ يقول درويش:

في بلادي

حيث لم يخفق شرع السندباد

يا دم الطاووس، يا قناص قلب الذئب
يا مرض الخيال⁽²²⁾

لقد استطاع درويش أن ينقلنا لنعيش معه لحظات الموت، وكأننا فعلاً معه في ملحمة صراعه في لحظات حرجة من حياته مع موت كان يزحف إليه من غير ميعاد، فواجهه بعظمة الشعر، و صوت الحرية، وإرادة الحياة، معلنا انتصار الحياة على الموت و الحرية على الظلم .
وكعادته عاد درويش إلى ينابيع التراث السخية، ليغترف منها رموزاً تساعد على توصيل تجربته الشعرية و خدمة فكرته، فقد كثف من توظيف النص التراثي في جداريته باختلاف عناصره، من موروث أسطوري، ديني، وتاريخي، وكذلك استدعاء للشخصيات التراثية التي تعد صوتاً ماضياً يمتد إلى حاضره.

2- نماذج من الشخصيات المستدعاة في الجدارية :

يفتح درويش باب توظيف الشخصية التراثية بتوظيفه المورث الأدبي الثقافي إذ يغوص فيه و يستحضر- بعض شخصياته التي صادفها في رحلته الملحمية في صراعه مع الموت أين وجد هذه الشخصيات في العالم الآخر يقول درويش :

رأيت "ريني شار"
يجلس مع "هيدغر"
على بُعد مترين مِنِّي ،
رأيتهما يشربان النبيذ
ولا يبحثان عن الشعر...
كان الحوار شُعا
وكان غدٌ عابرٌ ينتظر⁽²³⁾

درويش يوظف شخصية ريني و هيدغر وهما علمان من أعلام الأدب العالمي، حيث يوظفهما بأسلوب عكسي دلالة على انقلاب الموازين و التحرر من القيود و الابتعاد عن هوم الدنيا ومشاكلها أين التقى بهما في عالم الأموات و شاهدهما إثر زيارته لذلك العالم.

كما يستدعي شخصية المعري في نظريته للحياة المتأرجحة بين التفاؤل و التشاؤم، بحلوها ومرها، بأسلوب عكسي إذ يقول:

رأيت المعري يطرد نَقَّادَهُ
من قصيدته
لستُ أعمى
لأبصر ما تبصرون،

فإن البصيرة نورٌ يؤدِّي
إلى عَدَمٍ....أو جُنُونٍ⁽²⁴⁾.

من خلال هذه الصورة الشعرية التي تنطبع فيها ملامح المعري بصورة مغايرة، تحمل دلالات وافرة على راحة الشاعر درويش في العالم الآخر، أين يعيش الإنسان كما يشاء دونما ضغوط حياة بعيدة عن الألم و المآسي، و عندما تبرز فلسفة الشاعر بملاحق فلسفة المعري فيكون التعبير قمة في الدلالة على الهروب من الحياة الدنيا إلى عالم يستريح فيه الإنسان.

وقد وقفنا ونحن نتناول جداريته- على إشارات واضحة إلى الأنبياء أو التلميح إلى بعض سلوكهم و أدوارهم في النص وضوحاً لافتاً للنظر. وسنتعرض إلى بعض المواطن التي أشار فيها محمود درويش إلى دلالة النبي و الأنبياء منها :

قوله : كنا طيبين و زاهدين بلا تعاليم المسيح
و قوله : كنا طبيعيين لو كانت النجوم سائناً أعلى قليلاً
من حجارة بئرنا

و الأنبياء أقل إلحاحاً
فلم يسمع مدائحنا الجنود⁽²⁵⁾.

و يقول مستحضراً شخصية المسيح :

باطلٌ ، باطلُ الأباطيل ... باطلٌ
كلُّ شيءٍ على البسيطة زائل...
مثلاً سار المسيح على البَحيرة
سرتُ في رؤيائي . لكنتي نزلتُ
عند الصليب لأنني أخشى العُلُو ، ولا
أبشر بالقيام لم أغير...غير
إيقاعي لأسمع صوتَ قلبي واضحاً⁽²⁶⁾.

يستحضر شخصية المسيح معطياً لها بعداً دلالياً مرتبطاً بالحياة الزائلة التي تعانق الفناء، فالمسيح الذي تعرض لأبشع صور الظلم لأنه على حق كان مصيره الصلب.

من هذه الصور الشعرية يستيقظ درويش من هذيانه ليعود إلى الحياة التي تفتح ذراعها له و تناديه، إلى معانقتها فباتتصار درويش على الموت أدرك قيمته، و مدى ملازمته للرجوع الإنساني كقيض أو كخليفة سوداء تعطيها ألوان زاهية يرسمها الإنسان عبر مراحل حياته.

و يقول في موضع آخر : أنا من تقول له الحروف
الغامضات:
أكتب تكن،

اقرأ تجد.

و في هذا يلوح لجبريل و الرسول صلى الله عليه و سلم
ويذكره في موضع آخر قائلاً :

و لا تكن فظاً غليظ القلب⁽²⁷⁾

و هو في هذا يتمثل خطاب الله لرسوله الكريم، وترد
الإشارة إلى الأنبياء إما بذكر الاسم أو بالإشارة إلى أحداث أو
عبارات دالة.

فيلمح مثلاً إلى شخصية المسيح كأنما الشاعر المسيح:

علي أن أجد الغياب

وأن أصدق أولاً قلبي و أتبعه

إلى قاتل الجليل⁽²⁸⁾.

و يوظف في موضع آخر شخصية سيدنا نوح عليه السلام
وقصته مع الطوفان قائلاً :

فلي عمل على ظهر السفينة لا

لأنقاذ طائراً من جوعنا أو من دوار البحر

بل لأشاهد الطوفان

عن كئيب : وماذا بعد ؟ ماذا

يفعل الناجون بالأرض العتيقة⁽²⁹⁾.

و إذا أعمت النظر في المواطن التي ذكر فيها الشاعر ما
يدل على النبي فإننا نجد كثيراً ما يربط بين أدائه و بين الرسل
و الأنبياء، فنجد أن العلاقة بينها هي علاقة اتصال و انفصال
لأن مهمة كل من الإثنين واحدة و هي مهمة التغيير.

ثم ينتقل درويش لاستحضار ملامح الشخصية
الأسطورية صانعة المعجزات متحدية الصعاب و الأهوال،
فكان توظيف عناية الآلهة يقول درويش :

فغنى يا آلهتي الأثيرة يا عناية

قصيدي الأولى عن التكوين ثانية⁽³⁰⁾.

يطلب درويش العون و الشجاعة متسلحاً من خلال دلالة
الآلهة عناية كي تساعد كما ساعدت من قبله في حل المعضلات
حلاً أسطورياً، حيث يرفرف قلب درويش عالياً في سماء
الأسطورة ليستقطها على حالته التي يزحف إليها الموت بخطى
متثاقلة بطيئة، فقوة إيمان درويش كانت حاضرة و التزامه الدائم
بأفكاره حتى الإيمان بها كان حاجزاً بينه و بين الموت الذي مهما
خطى خطوة إلى الأمام تراجع خطوتين إلى الوراء.

و بهذا عدت الجدارية ملحمة أسطورية يتصارع فيها الموت،
الحياة، الفناء و البقاء، أضفى عليها درويش صبغة حاملة نابعة

من هذيان طويل راوده و هو على فراش الموت، إذ وجد
نفسه مغلوباً على أمره لا يملك سوى الذاكرة فكانت ألوان
الجدارية متناقضة بين لون الأمل و الاستسلام، و لون الحياة
و الموت، القائمة فقام درويش باستحضار الموروث الأسطوري
ليدعم نظرية نظريته، و يسافر عبر الأمة ؟؟؟ إلى منتهى كل
إنسان مهما بلغت قدرته، و عظم شأنه، فنجد الأسطورة
اليونانية حاضرة بحدة، حيث يقول درويش:

قال طيف هامشي : كان أوزيريس

مثلك كان مثلي⁽³¹⁾.

حيث يستحضر كفاح البطل الأسطوري أوزيريس قاهر
الصعاب الذي ضحى من أجل تحقيق الحدث و الحرية، و كانت
خاتمة الموت لكن بقت ذكراه طيبة، و نفحات طيب أعماله
خالدة رغم مرور الزمن، و قد جمع بينه و بين شخصية المسيح
رغم تباعدهما الزمني.

و يظل الصراع قائماً و الصمود النابع من ثورته متواصلاً
رغم الداء و طغيان الأعداء يظل يقاوم فملحمته طويلة يريد أن
يصل بها حدود الأسطورة و أبعد حدٍّ من الحداثة فالرمز
الأسطوري بعيد المدى الدلالي . استطاع درويش أن يضيف
عليه أبعاده المعاصرة ذاتية كانت أو اجتماعية، وعلى الرغم من
مرضه نجده يمتطي ظهر طائر العنقاء الأسطوري ليحط من
زمان اللازمان و مكان اللامكان، ليصبح حراً كما أراد، يقول:

وحدي أفتش شارد الخطوات عن أبعدي

لا بد من حل هذا اللغز انكيدو سأحمل عنك

عمرك ما استطعت و ما استطاعت

قوتي و إرادتي أن تحملاك⁽³²⁾.

يستحضر- درويش أحداث طروادة و شخصياتها
"انكيدو" الذي صارع الموت من أجل وطنه، و نفس البعد
يضيفه درويش على تجربته الشعرية و هو الصراع من أجل
البقاء، و الدفاع من أجل أن يموت بطلاً مستنزفاً كل قوته و
إمكاناته الشعرية، يخلد اسمه بأحرف من نور في سماء التضحية
و العدالة.

كما يستحضر- درويش شخصية البطل الأسطوري
جلجامش إذ يقول :

و نحن القادرون على التذكر قادرون

على التحرر، سائرون على خطى

جلجامش الخضراء من زمن إلى زمن⁽³³⁾.

أن يلجأ شاعرنا الى التراث يقلب صفحاته وينقب مكنوناته في مختلف صوره و ألوانه، عله يخفف عنه نكد السنين ونكبات الاستدمار، ويصيره وسيلة من وسائل مقارعة المحتل ومقاومته بسلاح الكلمة التي تختزل مأساة شعب يرمته وقصة وطن مكوم.

الهوامش :

- 1- محمد فكري الجزار: الخطاب الشعري عند محمود درويش، التراث للطباعة، القاهرة، ط. 01، 2001، ص 58.
- 2- محمود درويش: ديوان عاشق من فلسطين، دار الآداب، بيروت، 1979، ص 131.
- 3- محمود درويش: ديوان مدح الظل العالي، دار العودة، بيروت، ط3، 1987، ص 108.
- 4- صلاح فضل: أساليب الشعرية المعاصرة، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، د.ط، 1998، ص 203.
- 5- محمود درويش: الديوان، محاولة رقم 07، مج 02، ط05، ص 474.
- 6- المصدر نفسه: ص 471.
- 7- محمود درويش: ديوان عاشق من فلسطين، ص 257.
- 8- محمود درويش: الأعمال الكاملة، مج 02، ط05، ص 210.
- 9- محمود درويش: الديوان، مج02، ط05، ص 548.
- 10- محمود درويش: ديوان عاشق من فلسطين، ص 255.
- 11- محمود درويش، الديوان، مج 01، ط05، ص 235.
- 12- المصدر نفسه: ص 263.
- 13- محمود درويش: ديوان محاولة رقم 07، ص 650/649.
- 14- محمود درويش: ديوان ورد أقل، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ط02، 1987، ص 71.
- 15- محمود درويش: الديوان، مج02، مجمع أحبك أولاً أحبك، دار العودة، بيروت، ط05، ص 106.
- 16- محمود درويش: يوميات جرح فلسطيني، دار العودة، بيروت، 1969، ص 60/59.
- 17- فتيحة محمود: محمود درويش ومفهوم الثورة في شعره، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر 1987، ص 184.
- 18- أبو الطيب المتنبي: الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، د.ط، 1403 هـ/1983م، ص 472.
- 19- محمود درويش: الديوان، مج01، ط05، ص 235.
- 20- محمود درويش: ديوان عصافير بلا أجنحة، ص 13.
- 21- علاء الدين حسن: جدارية محمود درويش من أصغر الأشياء تولد أكبر الأفكار، مجلة العربي، الكويت، العدد 523، ربيع الأول 1423/جوان 2002، ص 129/128.

فالشاعر هنا جلعامش معاصر يعيش الأزمة ذاتها، وكأنه عبر قصيدته يريد تذكيرنا بالأسطورة المعروفة، و طرح الإشكال الأزلي في سر الحياة، ولغز الموت في شخص جلعامش، وعلى الرغم من هذا يواصل درويش تحديه ومصارعته للموت كما صارع جلعامش الوحوش في البرية، في محاولة منه للحفاظ على نفسه و على وطنه، وهو يستمد روح البطولة الأسطوري ويوصل فكرته - بعد مصارعته الطويلة- أيقن محمود درويش أن موته هو موت موهبته الشعرية مع يقينه بأن الموت لا بد منه، و هو يقر بكل هذا في ألم و تحسر- على هذا الذهاب الذي يقتل نفوساً خيرة تسعى لرسم البسمة على الوجوه و خدمة الإنسانية، و تجعل من أنفسنا شموعا تحترق لتضيء ظلمة الإنسان .

يعود الشاعر رغم معاناة المرض إلى مبادئه و ثورته التي شعارها التمرد على الظلم، و التضحية بكل ما يملك من أجل قضيته العادلة، فهو يستحضر- شخصية طرفة بن العبد هذا الشاعر المتمرد الرافض للعادات البالية التي تحط من قيمة الإنسان، و الثورة على عالم البقاء فيه للأقوى مثله مثل الغابة في قانونها فالقوي يأكل الضعيف، إذ يقول :

أيها الموت انتظر في خارج الأرض

انتظر في بلادك ربنا أنهي

حديثاً عابراً مع ما تبقى من حياتي

قرب خيمتك انتظرنى ربنا أنهي

قراءة طرفة بن العبد ...⁽³⁴⁾

فدرويش يريد مهلة ليحقق ما أراد أن يعلمه من أجل وطنه و شعبه، فشخصية طرفة بن العبد دلالة على أحلام درويش ومخططه الشاعر الذي لم يحققه إثر مدامه الموت له، فهو يخاطب الموت مباشرة مجسدة في صورة إنسان عاقل يطلب منه فيلبي أو يرفض.

من هذه الصورة الشعرية يتضح مدى سعة صدر درويش الشاعر الذي رغم الداء يصارع الأعداء مضحياً بنفسه من أجل حرية فلسطين فهو يحياها و لها .

وبعد هاته الرحلة الممتعة أيضاً مع شاعرنا الشاعر محمود درويش الذي حمل قضية الوطن الجريح في حلّه وترحال، وتجربة مرارة المنافي وآلام الاغتراب النفسي والجسدي، ومجابهته الموت بندية وصمود وتحدي يعكس في جوهره صمود شعبه الأبي، بل وأحدث مفهومه جديداً للموت وهو موت اللغة، فلا عجب

- 22- محمود درويش: جدارية محمود درويش، رياض الريس للكتب والنشر، لبنان، ط2، 2001، ص 52.
- 23- محمود درويش: الجدارية، ص 31/30.
- 24- المصدر نفسه.
- 25- المصدر نفسه: ص 40/39.
- 26- المصدر نفسه: ص 92/91.
- 27- المصدر نفسه: ص 62/48/43.
- 28- المصدر نفسه.
- 29- نفسه.
- 30- المصدر نفسه: ص 46.
- 31- المصدر نفسه: ص 83.
- 32- نفسه.
- 33- نفسه.
- 34- نفسه ص 49.